مجلة العلوم الإنسانية العربية
المجلد (٢) العدد (١)
الإصدار الرابع
٢٠٢١ (١٠٦-٨٩)

الحقول المعجمية والحقول الدلالية المعبرة عن أبعاد تجسيدية

شاهينة علي دندش

مدرس لغة عربية، وزارة التربية، لبنان

الإيميل: dandachshahina.2@gmail.com

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

نُشِرَ إلكترونياً في: ٢٠٢١/١/١٥

الملخص

إنّ ابتداع مصطلح التجسيد هو اعتماده كتقنية نظّمَتْها المنهجية الأسلوبية لتتآذر مع علم اللسانيات وعلم الدلالة، والارتقاء بها واحلالها محل البلاغة في العملية التواصلية وتوليد المعنى الجديد لتثبت فصاحة اللفظة في موقعها والنموذج الأسلوبي بفعاليته في الأثر الأدبي، فإنّ اثبات فصاحة اللفظة يتمّ بشكل تصاعدي من الجرس المستساغ إلى ركنها الإسنادي وتبيان أثرها بالألفاظِ المجاورةِ وصولًا إلى تعاضد المستويات وتفسير المصطلح بالعلاقة الانفتاحية وتجسيد التجربة الإنسانية، فجاء التجسيد ليطعّم الألفاظ بالإيحاء الشعوري والحسيّ، وليجعل انتقاء اللفظ وتآلف الحواس من مقومات الشعر التي يدركها الدماغ، لتحطّيم قيود الهيكلية الواحدة. وعليه فإنّ الأبعاد التجسيدية للألفاظ تقوم على الانزياح وصدمة المتلقي، بالمقابلات أو المصاحبة لتشكّلَ ألفاظ الطبيعة والأسطورة ما يمكن ادراجه تحت مسمى حسن التوظيف، وبالتجسيد الذي يرتبط بالمفاهيم الكونية والأفكار النقدية يتم تغيير واقع الثقافة العربية باختراقُ الألفاظُ المجسّدةُ للعجزَ اللغوي من خلال علاقة المصاحبة والبنية الصرفية

وبدمجِ الأسطورةِ بغيةَ الانفتاحِ الدلالي والتعبيرِ عن فكرةِ الوجود. فبإبداعِ الشاعرِ تجتمعُ اللفظةُ بالمعنى، وتُستقْصى الصورةُ البيانيةُ القائمةُ على العلاقةِ السببيةِ، فيصبح النحو نظامًا للعالمِ الخارجي والتجسيد وسيلة للتجديد تحاكي تطلعاتِ المجتمعِ، فأفضى إلى فكرة الإحياء والبعث ليحرّك التّناص بواعث هذه المفاهيم، ولتسمو العلاقةُ الاجتماعيةُ إلى المصافي الكونية، حيث يعبّر الشاعر عن الواقع الجديد المحفز على التأمّل لفهم العملية الإبداعية، من هنا تأتي دراسة الألفاظ والصّيغ المستعملة في الخطاب الشعري لتكشف عن الخصوصيات اللّغويّة، والاتجاهات التعبيريّة في شعر أدونيس، وعلى الخصوص في ديوانه" المسرح والمرايا"، الذي يمتاز عن سائر الشعراء المحدثين والمعاصرين باستعمال الألفاظ العربية استعمالاً يجعلها تتفجّر بالمعاني والدلالات، فتوحي ألفاظه بدلالات لا نعهدها في النّظام اللّغوي المعروف، ومن أهمّ التّقنيات الشعريّة عند أدونيس هي استعمال ألفاظ اللّغة العربيّة في التّجسيد، تتمحور الاشكالية التي طرحت في هذا الموضوع في السؤال الآتي: كيف تجسّدت كلّ تلك الطاقة في الألفاظ؟ وعليه عمدت إلى موضوع بحثي" التجسيد اللفظي في شعر أدونيس لاندراجه تحت الإطار

وهو متولّد عن حرية الفكر الذي نتج عنه تعدد وتباين في البحور، ليس تنوعًا تلقائيًا، وإنّما هو تنوع اصطحب الدلالة وصعّد التوتر الدلالي، فالعمل على توظيف هذه الحقول والكشف عن الهيكليات يأتي كحصيلة للتتابع الدلالي إذ بتغيير الدلالة يتغيّر المعجم الذي أصبح تقنية تجمع شتات النص بكامله .

١- الطاقة الإيحائية المجسّدة

إنّ الطاقة الإيحائية المجسّدة في حيز الشكل، فرضت انتشار الحقل المعجمي بما يتضمنه من وحدات، وعليه فإنّ" المعجم ليس نظامًا ولكنه منهج يشتمل المفردات المستعملة" (حسان، 1994م، ص314). يسعى لإيجاد رمز معنوي للتعبير عن المعنى المتأقلم مع المجتمع المتطور، ذلك لأنّه نظام خفي يعمد إلى الحذف في شكليه الرأسي الخيطي والأفقي المكثف، فتصبح الكلمة متعددة المعنى حيث تعدّ وسيلة للغة متطورة. وهذه الطاقة الايحائية هي طاقة تأثيرية في المعجم تتناسب مع درجة تكرار اللكسيمات التي بدورها ليست من سمات الأسلوبية لأنها تفقد الشحنة التأثيرية لابتذالها، وإن ندرتها تصدم المتلقي على أنها عنصر جديد يثري معجم الشاعر وسعيه لاقتناص الشعرية الكامنة بتجدد المعجم الشعري، والابتعاد عن "الرتابة التي تخمد الجذوة الشعرية" (قناني، 2014م، ص313).

اللغوي، و" تعاضد المستويات النحوية والدلالية فيه" (أيوب، 2011م، ص100). ليتبيّن كيف تجلّت اللفظة في ديوان أدونيس" المسرح والمرايا" بالنظر الى فصاحتها البنيوية. فهذا الشاعر يستعمل اللّغة العربية، لا لتعبّر عمّا تعبّر عنه في العادة، بل لتولّد معاني جديدة باستخدام تقنيات خاصة به لتفجير معان من ألفاظ اللّغة العربيّة، وبالمقابل نفترض أنّ تلك التقنيات تستند إلى وسائل بلاغية، وترميزيّة، من أهمها: التجسيد الذي يجمع في سيرورته بين المكوّنات اللّفظيّة، والدلالات النابعة من الصيغ النّحويّة. فالتجسيد عند أدونيس، كما نفترض، يعتمد على كل مستويات التّعبير اللّغويّة، من الصوت إلى النّص، مروراً بالدلالات اللّفظيّة، والتراكيب النّحويّة، والأبنية الأسلوبية.

الكلمات المفتاحية: الأبنية الأسلوبية، الانزياح، البنيوية، التجسيد، التناص، ترميزية، المصاحبة، المقابلة، الهيكلية.

*** تمهيد**

تجمع ألفاظ الحقل المعجمي علاقة معنوية تشبه إلى حد ما اللفظة العامة التي يقوم عليها الحقل الدلالي. ففي المحصلة هناك علاقة جامعة بين الكلمات في القصيدة، والمتجسّدة بالانتقال ما بين الحقلين المعجمي والدلالي، فبانتشار حقل معجمي معين يتمّ الكشف عن الأفكار المهيمنة والحالة النفسية لدى أدونيس، وما يوجب تعيين الرابط المعنوي بين اللفظ والسياق الذي يقوم بتثبيت النص وتماسكه من جهة، وتطور المعنى بتمايزه المجازي من خلال الصور البيانية وتحديد الملامح الشخصية من جهة أخرى. هذا من الجهة المعنوية أما الشكليّة، فإنّ انتشار الحقول المعجمية والدلالية حتّم التنويع في هيكلية نصوص أدونيس،

ومن هنا تدرج الصفات المشتركة والمختلفة لتلك اللفظة في سبيل تعميم المعنى الكلي، وتمييز الصفات الأساسية من العرضية، غير أن اللغة الشعرية لدى" أدونيس" تبقي ذلك الحسم بين الصفات نسبية لانزياح[2] اللفظ، كما تنتقل اللفظة" الصخر" من مجالها إلى مجال آخر آخذة دلالة جديدة تمتّ للدلالة السابقة ببعض الصلة (الانصهار – التفتت – الاندثار...)، وذلك استنادًا إلى الصفات والنعوت التي تتضمنها، وأن الحقائق الجزئية التي تقدمها الصوتيات والصرف والنحو والمعجم لفهم الكلمات المفردة لا تكشف وحدها عن المعنى الظاهر للنص إن لم توضع في سياق،" فقيمة اللفظ تطلبه الجملة لمعنى فيها" (عكاشة ، 2014م، ص84)، ولقد جاءت اللفظة الأولى" الصخر" بمعناها المتجسّد لتحيل بتطورها إلى لفظة ثانية (تفتت- انصهر- اندثر...)، تتجاوب مع االلفظة المجاورة" الصلابة" في تصاعد المعنى التجسيدي لا تجميده. الكلمة اذًا تشتمل على صفات عدة لا محصورة، فهي لفظة ايحائية تنساق مع المعنى الموحى في الجملة، فالكلمة تفيد معنى للجملة والجملة تفيد الكلمة، إذ الكلمة بحسب المخزون تغير معنى الجملة والجملة في الرغبة للوصول إلى الغاية تجسّد المعنى، فإن الألفاظ دائمة التجدد في القصيدة. كما نلحظ لكسيم الجسد الذي اصطحب معظم القصائد ذلك لأنه أقرب إلى السمع، وانتقال

وأسر.(صالح علي سليم الشتيوي، ظاهرة الانزياح الأسلوبي في شعر خالد بن يزيد الكاتب، **مجلة جامعة دمشق**، المجلد21، العدد(3-4)، 29-3-2003م.)

٢- لكسيم[1] (lexème) الماء والجسد

الطاقة التأثيرية تتناسب عكسيًا مع درجة تواتر الكلمة فكلما تكررت ضعفت مقوماتها الأسلوبية، وبندرتها تشكل هرمونية نصية تولد الاندهاش الذي ينتقل بنا لاقتناص الشعرية الكامنة وراء تحدد المعجم الشعري، لذا فإن ليكسيم" الماء" الذي ورد كوحدة معجمية صادمة في الشطر المركزي في قوله:-

" أقفاص تعلو \ تعبر في غابات الصوت \ في الأفكار وفي الأشياء \ ألصخرة **ماء** \ والأعضاء **شتاء** بارد \ والحب نوارس ليليه \ تتناسل في أعشاش الموت \ ولباس واحد" (أدونيس، ص11).

فعلاقته بما جاوره ترتبط ارتباطًا نحويًا وثيقًا، فهو خبر المبتدأ "الصخر"، وهو الصاحب المعطوف مع الأغصان والحبّ من حيث الابتداء لوجود ارتباط يتجاوز البنية التركيبية النحوية إلى ارتباط معنوي ممتد عبر الأسطر، فالصخر الذي استرسل في الليونة كالماء سببه التفلت من القيود والكتم، وبالتالي فإنّ الوحدة المعجمية" ماء" تستمد قيمتها التعبيرية من أهميتها المعنوية ودورها في التركيب النحوي.

[1] اللكسيم (lexème) هو الوحدة المعجمية، أو المفردة التي لها دلالة معجمية.(المعاني، almaany.com، 2010-2019)

[2] الانزياح اصطلاح في النقد الحديث وهو استعمال المبدع للغة مفردات وتراكيب وصور استعمالًا يخرج بها عمّا هو معتاد ومألوف بحيث يؤدّي ما ينبغي له أن يتصف به من تفرّد وإبداع وقوة جذب

اللفظة وعلاقة هذه الأخيرة بالألفاظ الأخرى من تمتين العلاقة المعنوية فهذا الرابط جعل لكلّ خطاب معجمه الخاص لعدم ثبات المعجم الشعري، ولرقي الأفكار وتباينها عبر مراحل حياة أدونيس الشاعر المبدع. فرقي الأفكار التي تتكشّف من خلال الدلالات المسكوت عنها أو بتعبير آخر- الانزياح في الاستعمال العادي – كان ناتجًا عن المشترك بين المتلفظين أي السمات المشتركة، لذلك نلحظ التكرار والترادف عند أدونيس كظاهرة لغوية وأسلوبية وإيقاعية بسبب إعادة ذكر كلمة في مواضع أخرى في سبيل الهدف الإبداعي الانزياحي، وعليه فإنّ تسلسل الألفاظ في الحقل المعجمي حدد الاتجاهات الدلالية، أو التصورات لعلاقة تلك الألفاظ داخل الحقل المعجمي ما جعل هذه الحقول تتضمن" وحدات متقاربة الدلالة" (السيد، 2000م) المتجسّدة فيها فشكلت أدوات جامعة للحقل المعجمي في النص بشكليه الخيطي أو المكثف، وهذا ما اعتبره" جاكبسون"[1] المشكل للنص الأدبي بقوله:" إنّ النص الأدبي خطاب ذو أسلوب منظم يرتكز على اختيار الأدوات التعبيرية والمزاوجة بين الأشكال (jackobson: 2003)، ويرد" جورج مولينيه" ذلك الترابط في الحقل المعجمي فيما بين الكلمات إلى الاشتقاق، أو التوالد فالصلة ملحوظة بين الدلالتين الدلالة الثانية ترجحها الدلالة الأولى فالربط بينهما لمجرد الاشتراك اللفظي في النّص الشعري ويشير إلى أنّ الشعر يمزج بين الشكل والمحتوى.(ميشال زكريا، **المدخل الى علم اللغة الحديث**، مؤسسة نعمه للطباعة، بيروت، 2002م).

دلالته من الألفاظ القديمة نحو المجاز وتسهيل التفسير وهذا النوع من المجاز يعيش زمنًا غير قصير فخيال الشاعر شخّص الأشياء، فلغة الشاعر تعمم ألفاظ الجسد على القصيدة فأصبح لها جسد كجسد الإنسان، وروح كروحه (تشخيص القصيدة) فإنّ انتقاء ألفاظ المعجم الشعري يدل على دراية أسلوبية وعلى خصوصية إبداعية لدى الشاعر فإذا ما تمّ" رصف الكلمات فإنّها تغطي حقلًا من الدلالات تنظمه التجربة الإنسانية" (عكاشه، ص10)، وبحصره بتجسيد أسطوري وفلسفي وصوفي وتاريخي.

٣- القيم التعبيرية لألفاظ المعجم

لجأ أدونيس إلى المقابلات الثنائية ليشحن اللفظ بالمعنى الذي تجسّد بشكل مكثف في الألفاظ المعجمية، وهذه

القيمة الدلالية تسمى القيم التعبيرية أو الأسلوبية، فأحرف اللفظة فيه أسهمت لعلاقتها بالطبيعة في تعيينه، وكذلك في السياق إعتمدت على سيطرة صفة على صفة أخرى ففي كلتا الحالتين عبّرت اللفظة عن موقف معين وحشد الألفاظ في الأسطر أحدث الانسجام في النص الشعري صوتيًا ونحويًا وبلاغيًا وموسيقيًا؛ ومعجميًا أيضًا، فصنّف المعجم بسمو القراءة الباطنية التأويلية للكشف عن الدلالات المسكوت عنها، انطلاقًا من الدور الذي تؤديه

[1] رومان أوسيبوفيتش جاكبسون(11 اكتوبر1896-18 يوليو 1982) عالم لغوي وناقد أدبي روسي من رواد الشكلية الروسية عمل على انجاح اعمال فيرديناند دي سوسير في تطوير المنهج الذي يركّز على أنّ بنية اللغة هي التي تؤدّي وظيفتها من أجل تناقل المعلومات بين مستخدمي اللغة ويرى أن عنصر الرسالة هو العنصر الأساسي

اللفظة إلى الأفكار كدلالة انزياحية. وذلك في ما يخصّ رصد تغاير الصفات وتغليبها في مواضع المجاز البلاغي حيث تلاقت المعاني على اختلاف الأصول، وللاشتراك في بعض الحروف وتقليبها لاشتراكها في الدلالة، وإنّ تقارب الأصوات والصيغ بما تناوله ابن جني في كتابه الخصائص في فصل عنونه" في تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني" وفي فصل عنوانه" تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني" أثبت أنّ مجرد الإشتراك في بعض الحروف يكفي أن يجعل الألفاظ مشتركة في الدلالة.

٤- إنتاجية الحقل المعجمي الخيطي والمكثف

وجه الشبه بين الحقول المعجمية (المكثفة والخيطية) وما بين العروض، في اعتماده الشطور أفقيًا والقافية عموديًا في تجسيد الرؤيا التي تكمن في اللفظ والبنية، تبدأ بالأولى وتنتهي بالثانية، لذلك فإنّ ما قيل في العروض" ليس إلّا طريقة من طرائق التعبير الشعري هي طريقة النظم" (أدونيس، ص113-114) يقال في صدد الحديث عن المعجم في شكليه. فكما هو التجسيد تجربة شعرية تقوم على تناوب القافية ، وكذلك هو التجسيد بتصاقب الألفاظ ومعانيها وتناوبهما لتقييد الطاقة الإيحائية في حيز الشكل، وهو ماعانى منه الشاعر قبل تجسيده، لذلك لم يلتزم الروي الواحد وحتى أنّ القافية توالت وتناوبت لتحدث التنوع وتؤسس لقافية متحوّلة تتبع بالتجربة الشعرية، فكل مقطع خاضع لنظام قافوي حرّ، فقد تتكرر القافية فتكون واحدة أو تتنوّع، وفي كلتا الحالتين نعثر في المقطع على الحقل المعجمي بحركته الخيطية لاشتغال القافية داخل المقطع، ولتشكل خصوصيته حيث أنها لم تعد تقنية بل أصبحت بنية تجمع شتات النص.

أو التكرار "نشأ عن التطور الصوتي" (أنيس، ص 163)، إذا كان لابد من الربط بين" الليل والنخل" في الحقل المعجمي المكثف بالإعتماد على" اللام والنون" كحرفين متقاربين في المخرج وبالتالي يبقى الاختلاف بـــ" الياء والخاء" وذلك في قول أدونيس:-

" انتظر \ والليل تحت جسدي ينكسر،\ والنخل في جدائلي،\ والمطر \ عينان تقرآن لي \ أوائل الفصول...\ كان ورق النخيل \ يمتد كالغطاء \ كان قميصًا أحمر السماء \ وقلت: هذا زمن يميل \ نحوي... وقلت" (أدونيس، ص6).

فمن الواجب حسبان كلمة " النخل"هي الأصل وأن دلالتها المحسوسة قد تطورت إلى دلالة مجردة في صورة " الليل"، وأن اللفظة" نخيل" تخلّت عن بعض الأحرف في مساهمتها العلائقية بالطبيعة وذلك للتعبير عن الموقف وصلابته، فالمقطع الجذر هو" نل" اللام للالتصاق والنون للاستقرار وتضاف الخاء للاضطراب والرخاوة، وذلك لخاصية الاستقرار الملتصقة فيه وإلّا استمر بالاضطراب الذي عبّر عنه في السياق" النخل في جدائلي"، لا بل الإصرار على تخطي الصعاب" الليل تحت جسدي ينكسر". ما يعني أن المشترك اللفظي هو الأساس في اشتمال المعاني المتباينة وليس السبب الانتقال من زمن إلى آخر، لابل بتغليب صفة على أخرى من اللفظة فـــ" النخل" ما عاد ذلك النوع من الأشجار لتجاوره لفظة جدائلي فاتخذ صفة الأفكار المسترسلة والصلبة، مقابل" الليل" المتجاور للجسد أي الأفكار السيئة، أي الهموم ففي كلتا الكلمتين الليل والنخل تشيران إلى صفة مشتركة يعبّر عنها من خلال السياق لتشير

الأسنان العليا واللثة ويلتصق بهما فيضغط الهواء وراءها، إلّا أنّه يتمكّن من المرور جزئيًا عن طريق التجاويف الأنفية" (بركة، ص119). لتمتد الكلمة إلى الراء المجاورة له في القوافي الأخرى، إذ بمجملها تتضمن حرف" الراء"،" حرف صامت وتردّدي لثوي مجهور عند النطق به يتذبذب طرف اللسان على النخاريب (اللثة)، بحيث ينتج عن اندفاع الهواء المزفور سلسلة من الضربات المتكرّرة (المتردّدة)، ولذلك سمّي" بالصوت المكرّر، وتعدّ هذه الضربات بمثابة انسدادات (انغلاقات وانفجارات) صغيرة متتالية يتخلّلها رنين صوتي. ويكون اللسان في هذه الحالة مسترخيًا أمام الهواء المندفع من الرئتين، هذا ويتذبذب الوتران الصوتيان حال النطق بهذا الصوت فهو مجهور" (بركة، ص128). ومن ثم التزم الشاعر بحرف" الهاء" وهو صوت واسع .صامت احتكاكي حنجري مهموس ...ولدى مرور الهواء المزفور يحصل" احتكاك مسموع ومميّز ولا يتذبذب الوتران أثناء النطق بالهاء ويكون وضع فتحة الفم كما لدى النطق بالفتحة" (بركة، ص126). وكأني بالكلمة في علاقتها بالكلمات الأخرى في الحقل المعجمي تجسيدية ندائية تصدر من داخل الجهاز الصوتي لتنتهي منفوثة إلى الخارج، وهذا النداء الصادر من المستغيث إلى المغيث يجعل الكلمة رسالية يجتذبها طرفان: باعث ومتلقي، ويأتي المقام الخارجي أو الإحالة (reference)، أي الإماءة باللفظ إلى لفظ سابق، والمضمون منوط" بالاشارة إلى اللفظ في العالم الخارجي والاستدلال به ليفسر اللفظ المرموز وذلك بالاحالة النصية" (عكاشه، 2014م، ص 219).

ففي هذا المقطع الذي يحوي المسحة الثورية في قوله: أدعوك ايامي بلا **حارس**\ وهذه المسافة **المقفره**\ وليمه للحلم، عيد من الحنين من أشجاره **المثمره**\ أدعوك أن **تحضره**\ سارية الأحزان **مرفوعة**\ ياليت لو ترتاح، لو **تنحني**\ كالغصن في رياحها **المضمره**\ وها هو الابريق **مرثية**\ أو **زهرة**،\ والشاي **نافورة** \ أدعوك أن تصغي، هذا الصدى\ يجيئنا بالعشبة **المسكره**" (أدونيس، ص34). تأتي القافية الأولى(حارس) لتحيلنا إلى السلطة ووسائلها، وتأتي القافية الثانية(مقفره) لتدعم عدم اكتراث الدول بشؤون الشعب رغم مساحاتها الشاسعة التي كان بالامكان استثمارها، وتليها القافية(الثمره) التي تفسّر موقف الشعب من الدولة التي اصبحت هي الثمر لتتجاوب مع القافية الموالية (تحضره)، وهذا القطاف يحرّض على السعي اليه، ما يتطلّب القافية (مرفوعة) التي تفسّر نوعية السعي المفضّل المشبّع بالدماء، فالقافية (تنحني) تظهر أن السعي النضالي لا يركن أو يستقر بل يستمر وبقلق وإلّا فهو وكما جاء في القافية الاخيرة (تنحني)، خاضع منكسر دون قطف الثمار، لا بل كسر الأغصان التي انتجتها. فالنظام القافوي المشكل للحقل المعجمي الخيطي يجعل المعجم عنصرًا أساسيًا لبنيوية النص فكلماته المهيمنة على النص تؤلف خطابه.

لذا فإنّ كل كلمة داخل الحقل المعجمي يتناسب معناها مع تشكلها الصوتي طالما نتحدث عن القافية، أي الأحرف التي تتشكل منها ومدى تأثيرها في الإيقاع الخارجي والداخلي وتجسيد المعنى في القافية، وبالتالي الحقل المعجمي الخيطي، فالنون في" تنحني"، صامت انسدادي ذولقي نخروبي أنفي مجهور، عند النطق به" يعتمد طرف اللسان على أصول

أ- الطبيعة

لقد أولى أدونيس في ديوانه اهتمامًا بالغًا بالحقول المعجمية العائدة إلى الطبيعة، ووظفها في بنية النصوص لاعتقاده أنّها بنية متشظية تشكل تركيبة خاصة داخل القصيدة الحديثة، فشغل الحقل المعجمي للماء حيزًا مهمًا في ديوانه حيث انقسم إلى حقول فرعية، وتشكل من الليكسيمات التالية (البحر – البركة – الثلج – السيل – الغدير – الغيث – الماء – الموج – النبع – النهر) الماء سائل، عنصر لا تكون الحياة إلّا به ومن دونه تنقرض. تنوعت أشكاله فما يسقط من السماء كان مطرا أو غيثًا، ومنه ما يشكّل محيطًا أو بحرًا... وقد جمعت هذه الأنواع في حقل خاص تحت اسم حقل الماء حيث ذكره في عدة مواضع ومعظم عناصره وظّفت بقصد تبيين خاصية الشفافية في قضية تخطي الموروث والواقع الذي يسوده الاتباع والجمود فكان عنصر الماء وسيلة للتغيير والتجديد.

فلقد جمع أدونيس في ديوانه بين الماء والشتاء قائلًا:-

" اقفاص تعلو \ تعبر في غابات الصوت \ في الأفكار وفي الأشياء \ ألصخرة ماء \ والأعضاء شتاء بارد \ والحب نوارس ليليه \ تتناسل في أعشاش الموت \ ولباس واحد" (أدونيس، ص11).

لتشكل الصخرة ما هو جامد، والماء ما ستصبو إليه، وكذلك الأعضاء بأحاسيسها وأفكارها إلى ما سترنو إليه أيضًا.

ب- الكشف عن المحذوف من ألفاظ الحقول

إنّ الحديث عن كشف المحذوف من ألفاظ الحقل المعجمي الذي هو عبارة عن ألفاظ منتقاة من السياق جسّدت المعنى، ووضعت فيه بما يشبه حذف السياق المعلوم، وإيجازه بوضع الألفاظ المجسّدة للمعنى فيه. فبهذا المحذوف لا يقطع الكلام، من الناحية المعنوية، عما سبقه بل يجعله أكثر تعلقًا وتماسكًا، وهذا ما أسماه المحدثون بالمسكوت عنه، ليأتي الحقل الدلالي فيستكمل عمل الحقل المعجمي بقصد القبض على الدلالات الشاردة، ما استلزم استحداث البناء الجديد للمعجم الشعري ليكسبه المعاني المستحدثة، وعليه يتولى الحقلان تحديد المعنى وبناء القصيدة، من خلال تحديد المعنى المعجمي والاستفادة من المستويات التحليلية، لأنه معنى مجازي متماسك .ما ينتج عن ذلك نمذجة الأسلوب "فيما يمس الأصوات وصور التنغيم وقواعد اللغة الاساسية" (باي، ص 45)، ومن ثمّ تستعمل بصورة مشتركة مع اختلافات بسيطة ترجع إلى طبقة المتكلّم الاجتماعية، فإنّ الشاعر أدونيس يجسد المعنى من خلال جسد النص، فيأتي الحقل المعجمي الخيطي مكملًا لتدوير القوافي، مؤديًا الغرض الجمالي والدلالي، متشعّبًا بتشعّب الحقول المكثفة التي صنفت في شبكات دلالية شكّلت خطوطًا مضمونية ورؤيوية، فجمع ما بين التعبير والشعور، والمضمون والحالة، فالمعجم يقوم بدور الرصف وتركيب الجمل، ففي هذا البناء غير المنفصل ضمانة لاشتغال اللغة وحيويتها. فكيف وظّف الشاعر الحقول المعجمية العائدة لعناصر الطبيعة والأساطير؟

الأمثلة كثيرة عن تلك المزاوجة فنرى النهر والمطر، الثلج والدم ، الدم والماء والمطر، الفرات والموج والماء، النهر والماء والساقية... ولن نعرضها لكثرتها في الديوان.

ب– عناصر طبيعية أخرى

بفعل التجاور على مختلف المستويات النحوية والبلاغية اختار" أدونيس" مجموعة عناصر من الطبيعة تصاحب عنصر الماء كالنار والحيوان في قوله:-

" لونك لون الماء \ ياجسد الكلام \ حين يكون الماء \ خميرة أو صاعقًا أو نار \ واشتغل الماء وصار صاعقًا وصار \ خميرة ونار،\ نيلوفرًا \ يسأل عن وسادتي \ ينام \ يا نهر الكلام \ سافر معي يومين، جمعتين في خميرة الأسرار \ نلتقط البحار، أو نستكشف المحار \ نمطر ياقوتًا وابنوسًا \ نعرف أنّ السحر \ جنيّة سوداء \ ترفض انتعشق غير البحر \ سافر معي واظهر هنا وغب هنا \ وأسأل معي يا نهر الكلام \ عن صدف يموت كي يصير \ سحابة حمراء \ تمطر \عن جزيره \ تسير أو تطير \ واسأل معي يا نهر الكلام \ عن نجمة أسيره \ بين شباك الماء \ تحمل تحت ثديها \ أيامي الأخيره \ واسأل معي يا نهر الكلام \ عن حجر ينبع منه الماء \ عن موجة يولد منها الصخر \ عن حيوان المسك، عن يمامة من نور \ واهبط معي في شبك الديجور \ في القاع،\ حيث الزمن المكسور \ وليكن الكلام \ قصيدة تلبس وجه البحر" (أدونيس، ص21–22)

فلقد زاوج الشاعر بين هذه الوحدات المعجمية لطبيعة العلاقة التي تربطها، ذلك لأنّ اللحمة بينها ناتجة عن حسن التجاور اي المصاحبة اللغوية، إذ هي علاقة انزياح تستوحى من التركيب، فالوحدات المعجمية في السياق البنيوي هي التي أفضت إلى الاختيار والتأليف، وهذا ما

*** بين النهر والينبوع**

" تبدأ من جنازة امرأه \ تصعد كالقربان في مجامر العيون \ مدينة أحن من مدفأة \ تبدأ من جنازة امرأه \ أيام قاسيون \ أبدأ من جنازة امرأه \ صرختي الأولى حنين كون \ تطاولت،\ وانحفرت كالنهر \ رأيتها تجري،\ رأيت صوتي \ يترل من ينبوعه\ نحيلًا،\ مهاجرًا،\ يقرع باب الدهر" (أدونيس، ص14–15).

فعنصر الماء يبدأ مبطنًا من جسد الإنسان (العيون) في واقع تشحنه الأحزان والتقاليد ثمّ تحوّلت إلى نهر ممزوج بما صدر من داخل الشاعر وأساليبه التعبيرية.

*** بين البحر والمطر**

" شهدت جثة الحسين \ وهي تبكي وتجري مع الرافدين \ متّ في حضنها وعشت \ وطمرت شرايينها ونبشت \ كلمات المجيء \ سفر معتم خطوات تضيء \ الزمان المهرول في وجهه البطيء \ كلمات سفينه \ في البحار الدفينه\ بين نار الغموض ومزماره، الدفينه\ تحت رقص الجذور\ الدفينه\ حيث تمضي وتمضي وتمضي \ مطرًا هاذيًا \ وتمضي \ لهبًا هاذيًا \ وتمضي" (أدونيس، ص 18– 19).

لقد ذكر في هذه القصيدة شخصية تاريخية ودينية وسياسية أرفقها بفكرة البعث وعنصر الماء ما يؤيد مضمون الأساطير التي تحدثت عن الموت ثمّ البعث.

استقاها أدونيس، وشحن لغته الشعرية بها. إضافة إلى الروافد البيئية التي نستشفها من خلال الحقول المعجمية، ولا نغفل أنّ الأسطورة، تعمد إلى استمالة عناصر النص الإبداعي بكاملها، فلا يمكننا أن نفصل مكوناته عن المكونات الأسطورية، بسبب الترابط العضوي لدرجة التشابك، إذ تعمد إلى دفع النص نحو الأمام، وإلى الامتلاء الدلالي، والنص بدوره يعمل على إعادة تركيب الأسطورة وفق تصور جديد، لا يلغي كونها أسطورة، وعندما يغيب هذا التضافر ويغلب أحد الطرفين، إمّا النّص أو الأسطورة فينتج عن ذلك خلل في البناء، كأن تهيمن الأسطورة على النّص، و ما يثير الانتباه في صدد الحديث عن الأسطورة توظيف بعض الأساطير وتغييب الجانب الثوري فيها، والتركيز على الجانب الميتافيزيقي. والواضح أنّ الشاعر وجه الأسطورة، كما يريد داخل نصوصه، وشحنها بكفاءات دلالية لا نهائية، تكون خلاقة مع كل قراءة. خاصة في بعدها الميتافيزيقي، وهذا ما يلائم الشاعر القلق المتسائل فهو الذي قال:" لا مكان لي في العالم الذي توقّف وانتهى: عالم الأجوبة. إنّ مكاني في العالم يحرّض ويقلق" (أدونيس، 2000م). الحقل المعجمي للقرائن الأسطورية والتي هي الأسطوريمات تخصب الرؤية الشعرية وتمدها بأسرار جديدة، لا تفرغ من دلالتها المتناسلة، وتغني الرؤية المستقبلية التي تمثّل قناعات أدونيس الفكرية. إنّ هذا الموضوع يدفعنا إلى بحث عن آراء أدونيس حول علاقة الشعر بالواقع، التي أكّد فيها رفض النقل الحرفي للواقع في نحاول تسويغه مستثمرين معارف اللغة، فالشاعر لا يرصف الكلمات إلّا بعد أن يختار المفردات من رصيده اللغوي، ثمّ يقوم بتنظيم التراكيب الخاضعة لأسس المجاورة ومختلف المستويات بتعاضدها، ما يعني أنّ الوحدات المعجمية على علاقة سببية أدّت إلى توالدها دون تناسي تعاضد المستوى الصوتي المعجمي، فجاءت التوظيفات الدلالية لمختلف الليكسيمات لتجسّد مفهوم ومعنى العواطف والحواسّ، فقد جرت في سياقات انفعالية وأطروحات ثقافية دينية جعلت الشاعر يسرح متأملًا في

كون الله ومخلوقاته، وعليه لقد غاصت الحقول في بنى عميقة ميتالغوية إيحائية بطّن بها الشاعر وحداته اللغوية، واكسبت النسيج النصي فرادة أسلوبية نسميها التجسيد، حيث تداخلت الحقول المعجمية الطبيعة في رصف الوحدات الأسطورية والفلسفية والصوفية والتاريخية، فغاصت الحقول المعجمية كلها في بنى عميقة، تنقلت بين عوالم ميتالغوية ايحائية ابتعدت عن الدلالات المعيارية، وجاء التجسيد الأسطوري كنتيجة التقصير لما لا يتوفّر للإنسان من معنى في الكون، فبالتجسيد يتحقق الخلاص الفكري.

٦- الربط الضمني: الأسطوريمات[1]

في إطار الحديث عن الروابط الأساسية في تماسك الأبيات أو الأسطر، وهنا المقصود الربط الضمني، ففي هذا الإطار نتحدث عن الأسطورة والرمزية والرومنسية كروافد

الدكتور مختاري خالد،الجزائر، جامعة أحمد بن بلة- كلية الآداب والفنون).

[1] لأسطوريم وحدة معجمية لحقل معجمي أسطوري توجز معنى الأسطورة وحيثياتها بأحداثها وأشخاصها التي تنتمي إليها.(كريدات حورية، **الأسطورة عند أدونيس**، أطروحة دكتوراه، إشراف أ.د.

على قاعدة تفتيت الشاعر للأسطورة" إلى مجموع أسطوريماتها يبثها في النص، فيصبح الأسطوري معلنًا عن حضور الأسطورة رغم غيابها لفظًا" (البوعمراني، 2006).

أ- أسطوريم الفينيق

إنّ الأساطير غابت كحضور نصّي، فالشاعر يخلق أساطيره من جديد فلم يبق عليها، بل عمد إلى ظلال أسطوريمات الأسطورة ومن بينها أنّ" الفينيق" طائر لكنه لا يوظف كلمة طير بحد ذاتها بل يستعير كلمات تأخذ مكان الطائر فيعتمد أسطوريم" اليمامة والدجاجة والعصفور... " ولفهم الحقل المعجمي الذي يتضمن هذه الأسطوريمات يجب العودة إلى الأسطورة وفهم الغاية من توظيفها دلاليًا وحصرها بـــ"الموت ثمّ البعث"، فيكون العصفور بذلك لغة وطريقًا ووعدًا، فأسطوريم العصفور يؤدي الدلالة التي يقصدها الشاعر من خلال ربطه بالأسطورة، ويمكننا الحديث عن تفعيل الأسطورة في شعر أدونيس لأن النص الأسطوري غائب، وبقيت امتداداته، وغاب" فينيق" وبقيت الطيور" اليمامة والدجاجة والعصفور"، وإذا غابت الطيور بقي جزء من أجزائها ليدل عليها كالجناح أو الريش:-

"نسجت من معارجي\ أجنحة للصبر" (أدونيس، ص162).

وبذلك تأخذ هذه الكلمات دلالات جديدة مستوحاة من الأسطورة ، ولا يمكننا أن نقرأها في معانيها المعجمية، كما ترد بعض الدلالات المتولدة كالاحتراق وهو أسطوريم عائد الى أسطورة الفينيق يوظفها الشاعر لتغيّب الأسطورة بأحداثها، ويبقى الاثر مثلًا النار أو الجمر ... إطار مقولاته الأساسية عن الكشف والتجاوز والنبوءة والمستقبل، أليس هذا ما دفع الشاعر إلى أن يعود إلى الأسطورة لينقب فيها عن مضامين جديدة لعصر مختلف؟ تجيب عن اسئلة وجودية وأن تقيم صلة سيطرة بين الإنسان ومصيره، بين الإنسان والكون، وهذا ما يسوّغ سبب توظيف أدونيس لبعض الأساطير، ومثالًا على ذلك أسطورة الفينيق وأدونيس أو الرحيل... في بعدها الميتافيزيقي لا في بعدها الثوري. فالشعر "الجديد والابداعي هو ما يناقض الواقع، لأن الموقف الشعري الراجح هو الذي يفعّل النقيض" (أدونيس، 1994م، ص241). لذا رفض أدونيس الواقعية في الشعر فـــ" إذا كانت الكلاسيكية هي فن تصوير الهارب الغائب فإنّ الفن الحديث الذي هضم الصوفية والسريالية والجدلية هو فن القبض على المتحرّك وهو ردّ الاعتبار للإنسان كطاقة متنامية كاشفة" (سعيد،1986م، ص118)، وحين نقرأ بعض قصائد أدونيس نتابع فيها تشكلًا مختلفًا لرؤية الانسان في توجهها للتغيير فيتخذ هذا البحث منحًى ميتافيزيقيا، يتبنّى بعض الرؤى الفلسفية كالرفض والهدم...والمحصّلة أنّ جوهر العمل الشعري وقيمته لا يكمنان في واقعيّته، أو مدى ارتباطه بالحقيقة، وإنما في القدرة الإبداعية على جعل اللغة تقول ما لم تعتد قوله، أو أكثر مما تقوله عادة، وعلى خلق علاقات جديدة بين الإنسان والعالم، وما يثير الانتباه في توظيف الشاعر للأساطير، هو عزوفه عن توظيفها بشكل منبّه، فالقارئ يحتاج إلى وقفة استقصاء للقراءة، وحفر، ليتأكد أنّ التشكل الدلالي قائم على العمق الأسطوري، فيعثر على بعض الجزئيات منصهرة داخل نسيج النصوص، لا عبر تجلّيها اللفظي، لأنّ اللفظ الأسطوري منتشر داخل بنية نصوصه

الرحيل الأسطوري، لأنه يحقق ذاته من خلاله ويرفض الثبات والجمود، فهو رحيل التنقل الذي فيه التجدد، ولا يمكننا قراءة كلمة الرحيل في معناها المعجمي بل علينا قراءتها في مدلولها الأسطوري ، وقد تتوالد من هذه الكلمة سلسلة من الكلمات كالطريق والبحار والأمواج والسفينة... وهو رحيل وجودي يقوم به الشاعر أدونيس في النص الذي هو أرض الضياع الوجودي، الرؤى تصبح بحرًا والشعر ربانها، وكأن كل أسطورة تتناسل في نصوص أدونيس من خلال ألفاظ تفرعت من الأسطورة الأم عبر سلسلة متوالدة، وهذا ما نذهب إلى تسميته بالحقل المعجمي المتشظي في النص الشعري بنوعيه المكثف والخيطي.

وبالتالي الاعتراف بدور الحقل المعجمي الذي يؤدي معنى يخدم تجسيد الأسطورة أو الفلسفة أو الصوفية أو التاريخ، كما تظهر أسطورة نرسيس لتدعم الأساطير الأخرى في تجسيدها للمعنى من خلال ألفاظ تحيلنا على مجمل أسطوريمات الأصل كالمرآة والماء والوجه والظل فتغيب الأسطورة كنص ويبقى الأسطوريم كقوله:

" احتضنت الينبوع والجمانة البيضاء والمرايا: \ يا شجر الأيام أيّ شمس \ لبست في مداري"،" سألت، قبل الغصن المغطّى بالنا، عصفور \ وقيل: وجهي \ موج، ووجه العالم المرايا \ وحسرة البحار، والمرايا \ وجئت، والعالم في طريقي \ حبر وكل خلجة عباره" (أدونيس، ص162-170).

وكأنها سلسلة متوالدة من الأسطورة الأم، وكثيرًا ما يشتغل الشاعر في هذا التوليد بإعتماد المجاز كأحد الاساليب البلاغية التي سنتحدث عنها في بناء الجملة، فالنار أصبحت جمرًا باعتبار ما سيكون وأصبحت رمادًا، وكثيرًا ما يتكرر الجمر والرماد في ثنايا القصائد بإعتباره أسطوريمًا مهمًا في أسطورة الفينيق، فتتزاح دلالته المعجمية إلى دلالة أسطورية تحيلنا على التجدد والميلاد، فتنبثق الحياة من رماد الفينيق، أي أنّ الانزياح ناتج عن التوارد اللفظي الذي تجسّد في الجملة، أو الوحدات اللفظية التي اطلق عليها تسمية اللكسيم تارة أو الأسطوريمات في التجسيد الأسطوري تارة أخرى. العلاقة واضحة بين الجثث والرماد إنّها عملية الحرق، وتمثل قداسة الموت والانبعاث لأنّه رماد التجدّد، وبهذا ينوب الأسطوريم عن أحداث الأسطورة، فالشاعر يوظف سلسلة من الكلمات من خلال الحقل المعجمي للنار" الحريق – الجمرة – رماد – البركان – الشرر- الجحيم ..." ثم يجعل كل كلمة تتوالد وتتناسل ليتميّز فيه المعجم الأدونيسي ومنهله الأسطوري الذي عمد الشاعر على تفريعه، ولا يمكننا أن نفهم دلالاتها دون ربطها بمصدرها.

ب- أسطوريم الرحيل

في تعامله مع الأسطورة عمد أدونيس إلى تفتيتها إلى أسطوريمات، التي منها أنه إله يقتله خنزير بري، ويخرج من دمه شقائق النعمان، ووزّع هذه الركاز الأسطوريمية في ثنايا قصائده، فعندما يذكر الدم يضفي عليه البعد الأسطوري، ويخرج من دلالته المعجمية ليسهم في تفكيك الأسطورة. ثم تتولد عنها سلسلة من الألفاظ التي لا يمكن فهمها إلّا بإعادتها إلى البؤرة الدلالية المركزية ، فالرحيل الذي يريده الشاعر هو

وليملأ بالغناء الطبيعة، ويبدو ان بؤرة الدلالة التي تنصب فيها معظم الأساطير التي ولّد منها الشاعر سلسلته الدلالية هي التجدّد، وكأنها الأسطورة الجامعة. وللحقول المعجمية الفرعية الخاصة بالطبيعة دور تجسيدي داعم للمعنى التجدّدي، فجاءت ألفاظ الحقل المعجمي لتصف، كما في النص، لأنّ المعنى المجازي هو الذي يربطها رغم عدم تواجد السياق فهي تجسيد له.

٧- إيجاز السياق في لفظ المعجم

المعنى المجازي هو الذي يكسب اللفظة معناها الجديد لا كما هي الحال في المعجم، فيتعدد لإسقاطه في السياق، لذا فإنّ فصاحة المركب عائدة إلى دور السياق في اكساب اللفظة معناها المتجسّد، وتطوره بتطور السياق، والتفريق بين المعنى المتجسّد والجامد كما هو الحال في المعجم، فـــ" كلمة المعجم تفهم منعزلة عن السياق، وهي متعددة الاحتمالات لها صلة بالأنظمة الصوتية والصرفية والنحوية" ، (حسان، ص323) إذًا ورود الألفاظ في الحقل المعجمي حتّمه السياق فهو إيجاز له في ألفاظ متجسّدة، ويتم تفحص هذه الحقول بوسائل أسلوبية كالتوازي والمساهمة في بناء متواليات شعرية متوازية تتجسد في التوازيات النحوية والاصطلاحية والصوتية والعروضية والدلالية، وعليه شكّل الحقل المعجمي تقنية مركبة ذات فائدة بلاغية ولغوية تحتاج إلى دراسة وتأمل لتحليل مكوناته، وكيفية تشكله وحركيته للوقوف على جماليته، وقد وظف الشاعر هذه الحقول بشكل ثنائي (مكثّف – خيطي) تماشت مع ثقافته المتنوعة، وثراء تجربته فحصرنا اهتمامنا في معالجة الحقل المعجمي للطبيعة على الماء والنار لتمثلهما الحياة والموت كقضية وجودية

ج- توالد الأسطوريمات

استعار الشاعر من نرسيس (Narcissus) مرآته التي هي الماء، ولكنه ما رأى الجمال، بل رأى سيلان العمر وانقضائه وهنا" ينبغي التنويه بمرونة الأسطورة إذ لكل عصر رؤياه للأساطير القديمة أو الكلاسيكية، التي ينفخها بمضامين جديدة أو يجددها من الداخل" (شعبو، 2006م)، فخلق أسطورة جديدة أبقى فيها حدث" النظر" في مرآة الماء، كما وردت ظاهرة التوالد الأسطوري بجمع أكثر من أسطورة داخل النص الشعري، وهذا الخلق الجديد للأسطورة كان نتيجة الجمع بين أسطورة أدونيس وأسطورة أورفيوس ونرسيس وغيرها من الأساطير دون ذكر إسمائها فقد اكتفى بالإشارة إلى أسطوريمات الأساطير وتداخلها بالحقل المعجمي لعناصر الطبيعة الماء والنار... وذلك لاكتشاف القاسم المشترك بينها، فلقد وردت قرائن أو أسطوريمات تحيل على أسطورة أدونيس (Adonis) في قوله:-

" الجسد العاشق، كل يوم \ يذوب في الهواء صار عطرًا \ يدور، يستحضر كل عطر...\ يجهل أن يظلّ في مياهها، ويجهل العبور" (أدونيس، ص186).

أما أسطوريمات أسطورة أورفيوس (Orpheus) التي تدمج المعنى التجسيدي حيث ينفصل فيها رأس الشاعر:

" البطل الساهر مثل موجة موجة \ ينام \ وأرضنا صبيّة\ كانت بلا رأس ولا وسادة تنام" (أدونيس، ص169)

والقاسم المشترك بينهما هو التضحية فأدونيس يموت لتتجدّد الأرض، واورفيوس يقطع رأسه ليستعيد حبيبته،

الجسد" يجرفها الفرات" ليعود ويصعد، حيث جمع الشاعر ما بين أسطورة أرفيوس وأسطورة الفينيق (Phoenix) " طيور" التي حلّت محلّ الفينيق، وتنصهر رؤية الموت والانبعاث، رغم غياب النص الأسطوري بقيت امتداداته عبر الحقل المعجمي الخيطي والمكثّف حيث استمدّ سيميم الفرات معنى خاصًا من خلال موقعه في النظم، فقد جرت الكلمة في سياق ميتافيزيقي حوّر الشاعر الأسطورة بفكره رفض الثبات والجمود من خلال الموت – الحدث الذي أبقى عليه من الأسطورة التي فيها التجدّد، وهذه التضحية من خلال موت" أورفيوس" لتتجدّد الأرض والرحيل أو الطيران نحو السماء فيه البعث الذي اتممه الطائر الفينيق، وبهذا نغوص في البنية العميقة لليكسيم الفرات إلى عالم ميتالغوي إيحائي يبتعد بها عن الدلالة المعيارية العائمة ببنيتها السطحية هذه الطاقة الدلالية التي بطن بها الشاعر ليكسيم الفرات هي التي ميزت وحداته واكسبت نسيجه فرادة أسلوبية.

ومن عنصر الماء أيضًا — النهر والأمواج: الذي يتوجب تحديد وظيفته الدلالية من خلال مجاورته الوحدات التي رصفت في نظم تتابعي يصور تأثر الشاعر بالأسطورة، وهذه الوحدات تمتدّ خيطيًّا" يغنّي- أورفيوس- النهر- المكسور- تنور- الجمر"، وكذلك بالشكل المكثّف" سمع- تذكّر- رأس- حطام- الأمواج" (أدونيس، ص96). تعمّد أدونيس الإبقاء على هذه الكلمات التي ستنبّه القارئ ليخرج من النص إلى الأسطورة، فبدأ القصة بعد هبوط أورفيوس إلى عالم الموتى ليستميل أرواحهم ويستعيد زوجته:" إنّما أتيت سعيًا وراء عروسي التي خبت جذوة حياتها وهي في ربيع العصر صريعة" (عكاشة، 1992م، ص216)، وهو الذي وأسطورية ورمزية ورومنسية، فيصنّف اللكسيم الذي يتضمنه الحقل المعجمي بدلالته على التوظيفات الاجتماعية والدينية، والتوظيفات الاسطورية والرمزية والرومنسية، فالجنوح بالوحدة المعجمية ليس ابتداعًا، وكذلك الجنوح بالطبيعة إلى هذا المعنى ليس ابتداعًا وتفردًا من الشاعر، فالعرب نسجت على هذا المنوال، المهمّ هو انصهار المعرفة وفق الرؤية الشعرية الجديدة التي تعتمد تشظي وتوالد في الحقل المعجمي. والخروج بحصيلة مفادها أن اللكسيم العائد لعناصر الطبيعة- الماء: الفرات النهر الأمواج...وعلى المستوى التركيبي – السطر الشعري- له وظيفة دلالية مركزية وذلك لارتباطه بما جاوره بعلاقة نحوية وثيقة.

أ- توظيف الطبيعة في السياق الأسطوري

إنّ ما يحدد التوظيف الدلالي لعنصر الماء – الفرات هو وجودها ضمن مجموعة وحدات خيطية" منارة- قيثارة- الحياة –الطيور"، والوحدات المكثفة"هبطت- جرح- قصر- تاريخ" (أدونيس، ص157)، وهي وحدات رصفت في تنظيم تتابعي يتيح المجال أمام تصورات أسطورية جديدة، حيث أعاد الشاعر التأمل في أسطورة أورفيوس، ففي هذه الوحدات المكثفة تعبّر الطقوس الهبوطية عن إتمام وعي الحالات الرفيعة المستوى، ويكمل السرد بالحديث عن الهبوط إلى باطن الأرض والحلول فيها حيث الجرح يترّ في زمن الخلافة المهترئة بقوله" التاريخ مثل خرقة" غرقت بالمادة" سجادة في القصر"،أمّا العودة إلى النور" منارة" الواردة ضمن الوحدات الخيطية تمثلت بغناء أورفيوس" قيثارة"، فقد أبقى أدونيس هذه الوحدة كأسطوريم محوري يجسّد أسطورة أورفيوس الذي في صعوده حياة أخرى" الحياة"، فيتطهّر

الأمواج) التي سنعدّها قرائن نصية، والتي تعتمد في تأويل أحداث أسطورة" أدونيس" وتقاربها مع بعض جزئيات سيرة أدونيس الشاعر والناقد بسبب التشابه بينهما حسب ما صرّح به الشاعر وقرائن التشابه كثيرة، وهذه القرائن، ولضرورة المقاربة بين نص ابلاغي وبين نص أسطوري، تعتمد كعلامات دلالية، ونشير إلى أنّ كنه الأسطورة لا يكمن لا في أسلوب صياغتها، ولا في نمط سردها، ولا في تركيبها النحوي. فالأسطورة كلام يتوصل المعنى فيه إلى الإقلاع عن الأساس اللغوي.

لذا جاءت وظيفة عناصر الطبيعة في رصفها ضمن الوحدات المعجمية الخيطية" البدايه – بلا حياة – الحصاة – الرعايه – عنكبوت – الفرات – كلام – الجسر"، وفي الوحدات المكثفة" التاريخ – مسدود – جسد – سرير – الماء – العاصي – حبر – صحراء – نجمة" (أدونيس، ص151)، لتصور مجالات أسطورية وتُعيدُ التأمّل فيها، ففي الهبوط إلى الأرض دليل وتأييد لفكرة أنّ لكل الموجودات بدايات، وحتى التاريخ الذي يبدأ مع كل حاكم" التاريخ والبدايه"، ما ينفي وجود الحياة " بلا حياة" في الموجودات فتتحوّل الكائنات إلى" حصاة" كالأجساد التي غادرتها الحياة.أمّا المتوافدون على السلطة والمتوقع الحصول على الرعاية منهم فما هم إلّا كالــ" عنكبوت"، والذين يخيطون مملكتهم بخيوط متوارثة والشعب يستريح على الأسرّة جمع" سرير"، فالفرات ما أبقى عليه الشاعر من أسطورة أدونيس – الممثل لأحداث الأسطورة ومغزاها- هو بقاء له دور أساسي في أبعاده المكانية (الماء – العاصي – الفرات) لتشمل المنطقة كلها، فهي الوحدة التي حوّر فيها الشاعر بفكره كل استطاع بغنائه أن يحقّقه:"هل سمعته يغنّي؟"، "تذكر أورفيوس؟" (أدونيس، ص 96) فالتساؤل في الزمن الماضي والمضارع يجعلنا نتوقع أن المستمعين غائبون عن المكان أو الوجود، وأنّ الشاعر مقتنع أن الأسطورة حاضرة دومًا تخرج من ماضيها لتعاصرنا، وهذا الغناء حصل بعد هبوط أورفيوس إلى باطن الأرض حيث حطام الزمن ورؤية أدونيس في التغيير والبحث عن إمكانات جديدة للتغيير، فيتخذ منحًى ميتافيزيقيا يتبنّى بعض الرؤى الفلسفية كالرفض والهدم...وأنّ تطهر الجسد والصعود استدعى "التنور" أي الوحدة المتولدة من الاحتراق في أسطورة الفينيق يوظفها الشاعر لتغيّب الأسطورة بأحداثها ويبقى الأثر:" تنور- جمر" التي تحيل إلى أسطورة الفينيق لا عبر تجلّيها اللفظي، وإنّما عبر أثرها الذي يسعى الشاعر إلى خلقه من جديد والمنتشر داخل بنية النص بظلالها، وكأنها سلسلة متوالدة من الأسطورة الأم، ولقد اشتغل الشاعر في هذا التوليد باعتماد المجاز المرسل "غضب الأمواج" الذي أصبح "جمرًا" باعتبار ما سيكون، ولقد تولّد من هذه الأسطورة كلمات أخرى احتوت عنصر الماء" النهر- الأمواج"، وإن لم نعد دلالتها إلى أسطورة الفينيق فلا يمكن أن نفهم احتفاء الشاعر بعنصر الماء الداخل كوحدات متشابكة مع الوحدات الأخرى حيث تتراح دلالته المعجمية إلى دلالة أسطورية تحيلنا على التجدّد والميلاد فتنبثق الحياة من الجمر، ما يذهب بنا الى تعامل الشاعر مع أسطورة أدونيس الذي قتله خنزير بري وتلوّن النهر بلون دمه، فتتوالد كلمات عنصر الماء من اسطورة أدونيس أي من الدم، فيأتي الماء من الدم ومن الماء يأتي الربيع وبالتالي يأتي من الموت التجدّد. ومن خلال الحقول المعجمية الخيطية والمكثفة المتضمنة لعنصر الماء (الفرات – النهر –

أخض البحر – موتى سفينة، وبقاياىَ انفجار يجيْ، أو ابجديهْ" (أدونيس، ص152).

والذي يسكن حضارة تموت في الشرق بينما التجدّد مسكون بالفرح الكوني والرسالة الثورية للنّبي وكذلك عمد أدونيس إلى الإستضاءة بتعاليم الغزالي[1] فهذه جثة الحسين حيث استحوذ جسده الأسطورة بالقول: " من شفتي سقراط حتى جثة الحسين" (أدونيس، ص144).

فبمقتل الحسين الذي تحول إلى جثة، والجثة تحوّلت إلى رماد، ومن الرماد خرج الشاعر في عصرنا، فهو المفضّل من أبناء آدم" لكنك المفضّل الحبيب آدم" (أدونيس، ص141)، وبهذا حاول الشاعر حمل رسالة تصعد بالأمّة إلى النور بقوله:

" ها هو بيت المقدس – المعراج \ يمدّ لي، يجيئني جبريل \...ولفّني جبريل وابتدأنا \ نصعد في أدراج" (أدونيس، ص126 – 127).

وفي الهبوط إلى باطن الأرض عودة إلى الأرض، فيتطهّر الجسد، ليعود ويصعد، وفي الصعود حياة أخرى وعودة إلى النور: " سأقول لذاتي: تجلّي \ لكي اتقصى ما هو ثابت وجامد سعيًا نحو التجدّد وذلك التجديد يعتمد" الكلام" كخطى في" صحراء"، وهذه الخطى ترسم بالحبر وهو الوسيلة "الجسر" الذي يعبر فيه الشاعر من الثابت إلى المتحول، ومن الموروث إلى الإبداع. فلفظة الجسد هي إحدى الوحدات المتوالدة من كلمة أو اسطوريم" جثة" الدالة على الأسطورة الأم، وتعني الجسد بدون روح، وتحيلنا إلى كلمة الموت، إلّا أن لكسيم الماء يلغي الموت، وهنا نؤكّد أنّه لأمر ضروري جدّا أن نفهم لغة أدونيس ومصطلحاته وصوره، على ضوء الفكر التناسخي،"وهكذا فالعلاقة بين الجسد والمرايا ليست علاقة ضدية بل علاقة مصاحبة: ملازمة الجسد الواحد" (الشرع، 1987م، ص89) هذا ما يمكن تأويله أسطوريًا وما تهدف إليه الأسطورة من تجدّد، أمّا وقد تشابكت المعاجم مع وحدات متوالدة من فعل الكتابة فيمكن تأويل" الجسد" بالمادة اللغوية التي تحوي المعنى، إنّه الدال أو اللفظ التجسيدي الذي يخرج من إطاره اللغوي والمعجمي إلى المعنى الأسطوري والتناسخ الفكري الخالد.

عنصر الماء ذلك العنصر المجدّد يتجلى بتنقيب القارئ للمعنى التجسيدي حيث تتفجر الأبجديّة بقوله: "

وجود كل شيء وعدمه"، كما يرى الوهم وحده الذي يخلط الوجود تاأبدي والوجود الزمني ليناقض الفلاسفة في مشكلة القدم والحدوث حيث يعتبر أنّ الزمن أبدًا سرمديًا لا يتطلّب زمانًا قبل الزمان.(عباس محمود العقاد، **فلسفة الغزالي**، مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م)

[1] أبو حامد محمد الغزالي فارسي مسلم لاهوتي وفقيه وفيلسوف وصوفي(1058م - 1111م)،عرض لمسائل الوجود ولما بعد الطبيعة، كان لديه القدرة على تجريد الذهن من قيود المألوف، وشكّل التصوّف مددًا للفلسفة والتغلّب على الذات ولقد عرّف الغزالي التصوّف" قطع علائق القلب عن الدنيا بالتجافي عن دارالغرور والأنانية إلى دار الخلود...وأن يصير القلب إلى حالة يستوي فيها

الشاعر إلى عنصر الماء، وإنْ لم يكن ماءً صافيًا فالشاعر يصوغ المادة ويبدل المعنى المعجمي لها وهو الوحدة المتولدة من الماء وأسطورة أدونيس التي يحدث بها التغيير. فاستبدل الشعر وتأثيره بالطوفان أنّه يمثّل ما يشبه السحر، وبهذا وظفت الأسطورة في ومضات شعرية موجزة، ولم تعد تفاصيلها مجرد استعارة حذف منها أحد طرفي التشبيه. فالشاعر كالساحر حيث كان يطوف من لقّبوا أنفسهم بالمؤمنين ما يعيد النظر في موضع المائدة" على الشرفة الذهبية في قبة المائدة"، وبتغيير المكان الذي يطوف حوله من شبّهوا أنفسهم بالمؤمنين تُباد الأوجه بفعل وجه الشاعر، أي المركز الأساس للفكر الحرّ والذي يسعى إلى تجديد الشعر من القصيدة إلى الكتابة " وجه الكتاب"، والتجسيد اللفظي يسمو ليطال الكتب المقدسة من حيث الارتقاء في المعنى الميتافيزيقي، وكسر قيود اللغة الجامدة.

*** الخلاصة**

طالعتنا في هذا الفصل فوائد متعددة تتركّز بمجملها على الأبعاد التجسيدية التي عبرت عنها الألفاظ بانتقالها من المعاني المعجمية إلى رحاب جديدة، وذلك عبر تضمينها دلالات تعكس حال الشاعر وتعبّر عن تأثيراته، وهي حالات تبعث على التأمّل لارتباطها بمفاهيم تجعلها أكثر تأثيرًا في المتلقي، بحيث تشدّه إلى التفكير بما تحفل به من تجديد ناجم عن التغيير الذي لحق بهذه الألفاظ عبر انزياحها في الجملة تبعًا للحالة النفسية المعبّر عنها. ومن أهمّ الاستنتاجات التي تبدّت في هذا الفصل:-

مداه،\ وأحسن قبض على النور\أنا والنور في هجرة\ جسدانا وأحلامنا دارُنا" (أدونيس، 2006 م، ص78).

وهذه الفكرة تؤكد فكرة الموت والانبعاث، التي تأثر بها الشاعر، إلى جانب الانطباع بالفكر التناسخي، وعمد الشاعر إلى إيقاظه" فالشاعر العربي الحديث لم يعد يتصرف بقدر من الحرية مع مادّة شعرية أو أسطورية سابقة على محاولته الشعرية وحسب، بل بات يصوغ هذه المادة صياغة حرة، لدرجة أنه كان يبدّل بعض معانيه (داغر،2006م، ص178)، واستطاع الشاعر في توظيفه هذه الأسطورة، أن يجعلها نبضًا داخليًا، يتسرّب في بنية نسيج نصّه فلم تعد تفاصيلها، مجرّد استعارة تركّب فهي استعارة فرضها توارد الأفكار اتخذت مسار التشبيه والاستعارة، حيث تنازل الشاعر عن قول الشّعر، واستبدل الغناء به، لأنّه يمثل السحر، وهذا ما كان يريده من الشعر، السحر والادهاش، وهكذا حاول الشاعر توظيف بعض الأساطير في ومضات شعرية موجزة.

واستكمالًا لوظيفة عنصر الماء في رصفها ضمن الوحدات المعجمية الخيطية" المائدة – غرفًا – الضيوف – الخروف – الشراب – يطوف – المائدة – البائدة – الكتاب". والوحدات المعجمية المكثفة" يتصايح – لحم – جبلًا – ساحرًا الشرفة الذهبية – وجه يبيد – وجه" (أدونيس، ص71). فلقد صوّرت الوحدات المجال الأسطوري منذ مرحلته الهبوطية إلى الأرض، حيث الموائد والغرف والضيوف الذين يتصايحون حول ما يأكلون" الخروف "فهو "لحم"، أي الوحدة المتولدة من الأسطورة الأم الجثّة. وتضخمت أطماعهم" جبلًا" لا بل تجبّرت، لينتقل

جديدة تجيب عن التساؤلات الكثيرة التي تراوده، وتفسر صلة الإنسان بالكون والكائنات.

٥- وتبيّن لنا أيضًا أنّ الشاعر وظّف الأسطورة في شعره، لبث الأفكار النقدية التي تتمحور حول واقع الثقافة العربية التي يستبد بها الإتباع والجمود. كما أنّه دعا إلى تغيير واقع هذه الثقافة عبر كتاباته الغنية بمقومات التجدد والابداع.

*** المراجع**

أدونيس، **المسرح والمرايا**، منشورات دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨م .

أدونيس، **الثابت والمتحوّل بحث في الاتباع والابداع عند العرب**، دار الساقي، ج4، ط7، 1994م.

أدونيس، **زمن الشعر**، دار العودة، بيروت، ط2، 1978م.

أدونيس، **الكتاب أمس المكان الان**، ج3، دار الساقي، بيروت، ط 2، 2006م.

أدونيس، **مقدّمة للشعر العربي**، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٩م.

أنيس، ابراهيم، **دلالة الألفاظ**، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، ط5، 1984م.

أيوب، نبيل، **النقد النّصي**، دار المكتبة الأهلية الأهلية، بيروت، ٢٠٠٤م.

باي، ماريو، أسس علم اللغة، ترجمة مختار عمر، عالم الكتب، ط8، 1998م.

بركة، بسام، **علم الأصوات العام (أصوات اللغة العربية)**، مركز الانماء القومي، بيروت، 1988م.

البوعمراني، محمد الصالح، **أثر الأسطورة في لغة أدونيس الشعرية: بحث في الدلالة** ، مكتبة علاء الدين، تونس، 2006م.

١- إنّ المعجم الذي هو منهج يشتمل على المفردات المستعملة – تخطّت مفرداته مع أدونيس حدود ما هو مكرور وشائع، إلى التعبير عن إيحاءات تصدم المتلقي بما تحفل من شحنات تأثيرية تصبح معها الكلمة وسيلة للغة متطورة غنية بالطاقة التأثيرية، من ذلك ما لاحظناه مع لكسيم الماء والجسد والصخر.

٢- وتبدت في شعره ظاهرة المقابلات الثنائية والتكرار بذكر الكلمة في مواضع متقاربة لتبيان الانزياح الابداعي الناجم عن المشترك بين اللفظتين، وإثبات رقي الأفكار المعبّرة عن مراحل حياته وتأثراته.

٣- وتبيّن لنا أنّ أدونيس أولى، في ديوانه، اهتمامًا بالحقول المعجمية العائدة إلى الطبيعة، ووظفها في بنية النصوص توظيفًا هادفًا، من ذلك الحقل المعجمي للماء (الغيث، الغدير، النهر الموج، النبع...)، وأردفه بمجموعة عناصر: النار والحيوان والنبات، باعتبار أنها ترتبط بالماء بلحمة ناجمة عن التجاور، أو بالأحرى، المصاحبة اللغوية، لأنّ الوحدات المعجمية التي أفضت إلى الاختيار والتأليف، أبدع الشاعر في توظيفها لتجسد مفهوم العواطف والحواس، ليسرح في سياقات انفعالية وثقافية ودينية، جعلته أكثر ارتباطًا بالكون، وبالخالق على وجه الخصوص، وبالتجسيد لمفاهيم الخلق الروحي والخلاص الفكري.

٤- ومن نتائج دراستنا لشعره تبيّن لنا أيضًا أن طروحاته جاءت غنيّة بالقناعات الفكرية المرتبطة بالرؤية المستقبلية، وهي رؤية أكّد فيها رفضه النقل الحرفي للواقع في مقولاته عن الكشف والتجاور والنبوءة والمستقبل، وربما هذا ما دفعه إلى التأمل في الأسطورة لاستكشاف ما تحفل به من مضامين

حسان، تمام، **اللغة العربية معناها ومبناها**، دار الثقافة، المغرب، 1994م.

حورية، كريدات، **الاسطورة عند أدونيس**، أطروحة دكتوراه، اشراف مختاري خالد، جامعة أحمد بن بلة، الجزائر، 2016م.

داغر، شربل، **الشعرية العربية الحديثة (تحليل نصيّ)**، أزمنة للنشر والتوزيع، الأردن، 2006م.

زكريا، ميشال، **المدخل الى علم اللغة الحديث**، مؤسسة نعمه للطباعة، بيروت،٢٠٠٢م.

سعيد، خالدة، **حركية الإبداع دراسات في الأدب العربي الحديث**، دار الفكر، بيروت، ط3، 1986م.

السيد، علاء الدين رمضان، **ظواهر فنية في لغة الشعر العربي الحديث**، نادي الأدب، مصر،2000م.

الشتيوي،صالح علي سليم ، ظاهرة الانزياح الأسلوبي في شعر خالد بن يزيد، مجلة جامعة دمشق، المجلد21، العدد(3-4)، 29آذار 2003م.

الشرع، علي، **بنية القصيدة القصيرة في شعر أدونيس، منشورات اتحاد الكتاب العرب**، 1987م.

شعبو، أحمد، **في نقد الفكر الأسطوري والرمزي: أساطير ورموز وفولكلور في الفكر الانساني**، المؤسسة الحديثة للكتاب، 2006م.

عكاشة، محمود، **تحليل النص دراسة الروابط النّصية في ضوء علم اللغة النصي**، مكتبة الرشد، ط1، 2014م.

العقاد، عباس محمود، **فلسفة الغزالي**، مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م

قناني، ميلود، **الحقول المعجمية ودلالتها في شعر محمد مهدي الجواهري في أعماله الكاملة دراسة اسلوبية**، اطروحة دكتوراه، إشراف محمد عباس، جامعة ابي بكر بلقايد، الجزائر، 2014م.

المعاني، http://www.almaany.com\ar\thes\ar-ar\

Saussure, Ferdinand,**cours de linguistique generale**, Payot and rivages, Paris,.م 19